نهـــاية التنكر

بقلم استيفن ليكوك

ترجمة الأستاذ عبد اللطيف النشار

كان رئيس البوليس السرى جالساً إلى مكتبه ، وأمامه وجوه مستعارة وشـوارب ومناظير مستعارة كذلك مختلفة الأشكال فهو فى أقل من ثانية يستطيع التنكر

ووضع قليلاً من مسحوق أبيض فى كوب من الماء وتجرعه، وفى هذه اللحظة طرق باب حجرته طارق، فخبأ المسحوق فى درج مكتبه ووضع على شفته العليا شارباً أسود ، وأذن للطارق بأن يدخل ، ولكنه لما رآه وتبين أنه سكرتيره أعاد الشارب إلى مكانه وهو يقول :

— أهذا أنت ؟ ماذا لديك من الأخبار ؟

فأجابه سكرتيره :

— عندى مسألة فى نهاية الغموض وفى نهاية الأهمية لعلاقتها بدولة أجنبية ، ويخشى إذا لم يستطع البوليس حلها أن تنشب حرب طاحنة

قال رئيس البوليس السرى :

— وهل تكون المسألة بهذه الدرجة من الأهمية ويعجز بوليس لندن عن حلها ؟ قل لى ، هل تتعلق بالبرلمان أم بالوزارة أم ماذا؟ فأجابه سكرتيره: «هى تتعلق بمن لا نكاد نجرؤ على النطق بأسمائهم ولما مساس بالسياسة الدولية وأخشى أن تحدث بشأنها حرب عالمية »

قال رئيس البوليس : « إذن فأخبرنى بما عندك من التفاصيل »

فأجابه السكرتير : « لقد اختطف البرنس ورتمبرج »

وقف رئيس البوليس السرى مزعجاً وقال : « لقد سمعت كثيراً عن هذا الأمير وأعتقد أنه من أسرة البوربون . إنك محق بلا شك فإن وراء اختطاف الأمراء أمراً شديد الخطورة »

فأخرج السكرتير من جيبه رسالة برقية وقدمها لرئيسه وهو يقول : « هذه رسالة رئيس البوليس فى باريس »

فتناولها وقرأها وهـذا نصها : « لقد اختطف البرنس ورتمبرج والأرجح أنه نقل إلى لندن . يجب أن يعاد إلى باريس قبل يوم المرض . الجائزة ألف جنيه »

قال الرئيس : « لا بد أن يكون المرض دولياً ولا بد أن يكون لاشتراك البرنس فيه مغزى سياسى، فهم لذلك يختطفونه. أكتب برقية فى الحال إلى باريس طالباً وصفاً دقيقاً للبرنس »

فأحنى السكرتير رأسه وخرج . وفى اللحظة نفسها طرق الباب طارق ولـكنه دخل بغير استئذان

ولما التفت رئيس البوليس كان الزائر قد توسط الغرفة . ولما عرفه وقف مذعوراً وقال :

— رئيس الوزارة الإنكليزية ! ما الذى تأمرون به يا صاحب الدولة ؟ أظنكم جئتم من أجل البرنس ورتمبرج ؟

قال رئيس الوزارة : « كيف عرفتم ؟ لقد أتيت من أجل هذا السبب فابحثوا عن الأمير ولـكم جائزة غير التى تعرضها فرنسا ولـكن أهم من العثور عليه ومن إعادته ألا يمس أحد شعره أو أذنيه فإنه لا فائدة من إعادته إذا قص شعره أو قطعت أذناه »

دارت رأس الشرطى ولم يكد يفهم معنى هذا التحذير . ولكنه أجاب على وجه التأكيد : « يا صاحب الدولة سيعاد دون أن يمس بسوء »

وهنا طرق الباب ودخل زائر آخر بغير استئذان ، وهو كبير البطن عليه عباءة حمراء ، فاشتد انزعاج رئيس البوليس ووقف وهو يقول : « رئيس أساقفة كونتربرى ! تفضلوا بالجلوس يا صاحب النيافة ... لا بد أن يكون مجيئكم من أجل البرنس ورتمبرج ؟ »

فأشار رئيس الأساقفة على نفسه إشارة الصليب ، ولم يسره كثيراً أن يعرف رجل البوليس السرى الأمر الذى جاء من أجله كأنه من المشتغلين بالسحر . وقال : « نعم لقـد جئت من أجله لأن أختى مهتمة أشد الاهتمام بالعثور عليه ، فقد راهنت عليه بعشرة آلاف جنيه . على أن أهم من وجوده فى نظرها ألا يقص شعره ولا تشوه خلقته ولا تزال العلامات الخاصة به ... »

أظهر رئيس البوليس اهتماماً شديداً لما سمع أن الكونتس داسليغ أخت رئيس الأساقفة مهتمة بالبرنس ووعد بأن يبذل كل عنايته . وفى الحال دق الباب مرة ثالثة ودخلت الكونتس فابتدرها رئيس البوليس بقوله : « ... وأنت أيضاً أتيت من أجل البرنس ورتمبرج ؟ »

فقالت : « لقد اختطف هذا الكلب المسكين وأنا مهتمة به أشد الاهتمام »

ارتاع رئيس البوليس من ذكر كلمة « كلب » ولكنه تذكر أنها دوقة تحاول إنقاذ حياة أمير فلا بد أن تكون العلاقة بينهما علاقة حب ، وقد يكون من مقتضيات هذه العلاقة فى بعض الأحيان أن تصف المحبة حبيبها بأنه كلب . وقال ليتعرف كنه العلاقة بينهما : « هل أنت تحفلين به كثيراً ؟ »

قالت بلهجة التعجب : أحفل به ؟ إننى ربيته

فتغير رئيس البوليس السرى رأيه فى الحال وقام بروعه أنه ابنها وليس حبيبها كما كان يظن . وقالت السكونتس : « وفضلاً عن ذلك فإنى راهنت عليه بمبلغ عشرة آلاف جنيه ، ولكن أحذرك من أن يقصوا شعره أو يغيروا شيئاً من صفاته »

كان رئيس البوليس لا يزال فى حيرته من كون هذه الدوقة أماً لأمير من أمراء البوربون ، ولكن كل شىء محتمل فى الحياة وأدرك أن المؤامرة لابد أن تكون كبيرة الأهمية لأن فى نجاحها كشفاً لأسرار خطيرة بين الأسر المالكة

وخرج رئيس الوزارة ورئيس الأساقفة وأخته معاً . وبعد لحظات من خروجهم تلقى رئيس البوليس برقية من باريس بصفات الأمير المفقود، فلم تزده هذه البرقية إلا ارتباكا، وفيها أن جسمه طويل وإن شعره أسود كثيف وأن أذنيه طويلتان وأن صوته عميق

قال لسكرتيره : « قل لى بالله كيف يمكن أن نهتدى إليه ، وهذه صفاته كلها مبهمة ؟ »

وقبل أن يجيب السكرتير على سؤال الرئيس وردت برقية من باريس لم تزدها إلا ارتباكا ، وفيها أن أهم صفة بارزة للبرنس ورتمبرج أن فى وسط ظهره خصلة بيضاء من الشعر

قال الرئيس : « على كل حال يجب أن نبحث عنه على أساس هذه الصفات ، ولا بد أن يكون الأمير شاباً أولاً ، لأن الدوقة دعته كلباً ، وثانياً لأنها ربته فلنبحث عنه فى مجتمعات الشبان .

وتنكر رئيس البوليس وبدأ بحثه

وفى الأربعة الأيام التالية زار كل مكان فى لندن ودخل كل مشرب وكل مكان عام . وكان فى بعض المشارب يدخل متنكراً فى زى بحار ، وفى البعض الآخر يدخل متنكراً فى زى جندى ، وفى غيرها يتنكر فى زى قسيس ، وفى غيرها يتنكر فى زى أجنبى ولم يعبأ أحد به ، ولم تسفر مباحثه عن نتيجة

وألقى القبض على رجلين لاعتقاد أن كلا منهما هو الأمير ، ولكن أطلق سراحهما فى الحال لما ثبت من أنهما سواه

واستأنف رئيس البوليس السرى مباحثه وزار بعد منتصف الليل سراً منزل رئيس الوزارة وفحصه غرفة غرفة ، وزار بيت رئيس الأساقفة وبيت الدوقة ، وهناك وجد ما حل الألغاز التى كانت مستعصية على كل طرق الحل ... وجد صورة معلقة على الحائط ، وقد كتب تحتها اسم الأمير ورتمبرج ، ولكن الصورة كانت مع الأسف صورة كلب حقيقى ، وقد توافرت فيه كل العلامات التى ذكرت فى برقيتى باريس

صاح رئيس البوليس بسكرتيره : إن البرنس ليس إلا كلباً

ثم هرع كلاهما إلى خارج المنزل والسكرتير يقول لرئيسه : « ألم تصرح لنا الدوقة بأنه كلب ؟ ... على أن كل الصفات لم تكن لتنطبق إلا على الكلاب ... أليس فى وسط ظهره خصلة من الشعر الأبيض بين شعره الأسود ؟ أليس يراد قبل المعرض ؟ أليس هو موضع المراهنة ؟ »

وفى اليوم التالى ذهبا إلى الدوقة فوجداها على أشد حالات الانزعاج وقالت : « هل علمتما ؟ لقد عرفنا مكانه ووجدناه قد قصوا شعره وقطعوا أذنيه وغيروا علاماته التى كان ينتظر أن ينال بواسطتها الجائزة الأولى ، وقد ضاع المبلغ الكبير الذى راهنت به عليه »

قال رئيس البوليس السرى :

— لا تحزنى يا سيدتى فإنى سأحصل على الجائزة الأولى فأنتكر وفقاً للوصف الذى وصل إلينا فى شكل كلب فأحصل على تلك الجائزة . إننى سأحضر المعرض فأربح الرهان ، ومن أمهر منى فى التنكر ؟ !

وفى الليلة التالية أرسل رئيس البوليس السرى إلى باريس متنكراً فى شكل كلب تنطبق عليه جميع العلامات المميزة للبرنس ورتمبرج

قال كل من فى المعرض : « ما أجمل هذا الكلب وما أذكاه ! » وكان الشبه شديد الإحكام بينه وبين الكلب المفقود ونال الجائزة الأولى . ولكن فاته مع الأسف أن يحصل لنفسه على رخصة كلاب من بلدية باريس فلم يكد يخرج من المعرض حتى التقطته عربة الكلاب فأعدم عصر ذلك اليوم

على أن هذه النهاية بالطبع ليست ضرورية فى صلب القصة وإنما هى عرضية يجب أن تذكر على أثر نجاحه فى نيل الجائزة .

عبد اللطيف النشار

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبتدئين — عابدين }